

رتابة الوجع

نضال غريبي

قد أغيب
لكنني حتما لم أمت....
وإن فعلت
عزائي أن لي بينكم أحرف لا تموت.

"نضال غريبي"

رتابة الوجع

.. أركض في الضباب

.. أصغي، لاهثا، لأمواج بحر متهافتة

.. أتعب

.. أنفث

.. أعرق

.. أجثو كي أستريح

.. تتدفّق الذكريات كالسيل جارفةً أماني الصِّبى

.. أخطو

.. أهرول

.. ألهث

.. أجري من جديد

.. السكينة فناء

.. الصمت انقطاع عن العالم

.. القلب في عناء

.. أغضب

.. أحنق

.. أنزوي

.. أهوي

.. كأوراق خريف تعانق أديم الأرض في انكسار وهوان

.. والنّسيم يضرب جذوره الرّاسخة

.. فينفض عن أطرافي نعمة النسيان

.. أتذكَّر

.. أصرخ

.. أهمس

.. أهذي

.. أبكي

.. أضحك

.. أغنِّي

.. أغنّي لظل الرتابة في كل ركن

.. في كل غرفة

.. في كل وجه بائس يمرٌ بي

.. ألهو

.. ألعب

.. أتصابى

.. أكبر

.. أمرح

.. أتصابى من جديد

.. أشيب

.. ويغمى عليّ

.. الأمس مولع بذكراه

.. الليل موحش مقفر

.. شيء ثقيل يجثم فوق الصّدر

.. يختنق الشهيق

.. نصف ساعة في يوم جديد

.. الغرفة مظلمة

.. لا صوت يعلو فوق حشرجة المكيف

.. الألم لا تحصره جدران الجسد

.. حروف العلّة تحتلّ قصائدي

.. ولا زلت أمضي في المجهول

.. سحب .. تتجمهر

.. رياح .. تتسابق

.. و أمطار .. لا تنزل

.. بل ازدحم المكان بالخواء

.. لم يبق متّسع

.. ولا زال في القلب مساحات للوجع

أنا ؟؟

نونٌ بعد التكوين..

نقمةٌ لن ألبسها، ولو كانت آخر أثوابي..

أتعرَّى منها..

وليكن ثوبي طيبةً..

قد قتلها العمى فيكم..

ضادٌ ضلَّت أناي بحثًا عن نفسي..

والنَّفَسُ انقطع غمًّا بين أياديكم..

ألِفٌ، حرفٌ أو رقمٌ..

أو مدٌّ يسند همزة إن أُسقِطت عمدًا من أعاليكم..

لامٌ لا تزالُ قائمةً..

ليت اللَّوائح تطهَّرت عن أساميكم..

أنا ؟؟

أنا الغريب فيكم ودونكم..

أنا ؟؟

غريبٌ بياء الملكيَّة ينتسبُ..

امتهنتُ اسمي..

وحين اشتدَّ عودي اتَّهموني بي..

وكان الحكم سجنًا. وتجريدي من نوني..

خرجتُ طليقا، نبذني النَّاسُ بعد أن أحَبُّوني..

فكان الحكمُ مضاعفًا..

وحتَّى يائي حرموني..

فصرتُ ضالًّا غريبًا..

أيا أنقياء المدامع هلاَّ احتضنتموني ؟؟

هذيان مايو

** 1 **

كل شيء فيك يا وطني جميل..

قصص الحب الفاشلة..

محلات العطور الرخيصة..

مناجاة أبنائك للتنانير القصيرة..

الأذواق الرديئة..

كل شيء فيك جميل..

أمطار مايو..

انتظاري العقيم..

فشل ابريل..

** 2 **

قالت..

ومياه الأرحام ؟؟

وجفافها بعد ذي ارتواء ؟؟

أما قلتَ أنَّنا سواء ؟؟

** 3 **

اغلقي النوافذ..

مايو يبكي..

اغلقي النوافذ..

صراخه أصمَّ آذاني..

** 4 **

أخاف عليكَ من الحرّ..

** 5 **

اغلقي النوافذ..

لي فيكِ بردًا وسلاما..

** 6 **

ألم أكن دفـءً فيمَ مضى ؟؟

أنّى هذا البرد أتى ؟؟

** 7 **

الدفء في حضنك كان..

من أعينك ينبثق..

أ لِي بعناق طويل ؟؟

** 8 **

طبعًا لا..

يفصلنا جبن المسافات..

غباؤُكَ والخصامات..

لم تقل لي..

أنّى هذا البرد جاء ؟؟

** 9 **

لي منكِ من الذكريات ما تُثلج الصّدر..

و تبعث في الفرائص رعشة..

** 10 **

عرفتكَ ذا رعشة..

** 11 **

وها أنت ترحلينَ..

وأنا ذا رعشة..

هل تعودين ؟؟

** 12 **

تدثّر مليًّا..

** 13 **

..

..

..

** 14 **

ما بِك سكَتْتَ ؟؟

** 15 **

أحاول الكتابة..

** 16 **

جيِّد..

ركِّز إذن..

** 17 **

ألم تعرفيني بعد ؟؟

لا أركز حين أكتب..

تتخاصر الكلمات..

فتنساب منِّي دون تنميق..

** 18 **

جميلٌ ما تكتب..

** 19 **

أعرف ذلك..

** 20 **

غرور ؟؟

** 21 **

لا..

بل لم أكتب بتاتًا خارج هته الرقعة..

وكلُّ شيء في وطني جميل..

إلاَّ أنا..

إلاَّ أنا..

** 22 **

جميل..

** 23 **

أنا ؟؟

أم ما أكتُب ؟؟

** 24 **

بل تردُّدُ ابريل..

** 25 **

ها قد رحل ابريل..

وهاهو ذا مايو يبكيك..

غدًا يكتمل نصاب الأشهر التِّسع..

أ تلدين غدًا ؟؟

** 26 **

جرفتكَ مياه رحمي بعيدًا البارحة..

استنفذتَ حظُوظَك يا صغيري..

** 27 **

أُمَّاه!!

** 28 **

تدثَّر..

لا أحد يشعر بالبرد كما اليتيم..

** 29 **

أُمَّاه!!

** 30 **

تدثَّر..

تدثَّر لنا معًا..

لا أحد يشعر بالبرد كما الثَّكلى..

حين سألتِني يوما ..

أي النَّاس أنتِ مني ..

عجبت لنفسي سيدتي ..

فأنا لا أعرف الناس ..

و لا أعلم مكانها منك ..

حين يجنُّ الليل ..

تصبح جميع ضروب الجنون في حضنك مباحة ..

وأصبح في حضرتك ألف رجل ..

رجلٌ شقيٌّ يرغب فيك بشدَّة ..

رجلٌ حالمٌ يداعب أسفل ظهرك ويغفو ..

رجلٌ مجنونٌ يظفر لك خصلات شعرك ويمسح أنفه بأطرف كم القميص ..

رجلٌ عاشقٌ يرقبك من بعيد في لهفة ..

وكلُّ الرجال تريدك بجنون ..

تقول الأسطورة، خلقت المرأة من ضلع أعوج للرجل..

ولأنني أسمى من الأساطير، فإن كل أضلعي عوجاء، لا تستوي إلا بك..

لن تتغير حال البلد إلاّ اذا حذفت نساؤنا الزواج من دفتر تطلُّعاتها، وحذف رجالنا النساء من جدول المُتَع ..

الخجل شيء جميل حين يتجلى على محياك .. بغيض حين يعيق تواصلنا ..

حين يجنُّ الليل .. تصبح جميع ضروب الجنون في حضنك مباحة .. وأصبح في حضرتك ألف رجل .. رجلٌ شقيٌّ يرغب فيك بشدَّة .. رجلٌ حالمٌ يداعب أسفل ظهرك ويغفو .. رجلٌ مجنونٌ يظفر لك خصلات شعرك ويمسح أنفه بأطرف كم القميص .. رجلٌ عاشقٌ يرقبك من بعيد في لهفة .. وكلُّ الرجال تريدك بجنون ..

الرجل العظيم يحتاج امرأة عظيمة تُذَكِّرُه كم هو طفل كلّما آوى إليها .. فقط العامّة يحتاجون امرأة للجنس وشؤون البيت ..

لا تتزوّجي رجُلاً لا يحبُّهُ عقلك ..

لا تتزوّجي رجُلاً لا يحبُّكِ قلبه ..

أنسى حياتك القديمة ..

إيجا نبنيو لرواحنا دنيا جديدة ..

حاجة مجنونة ونقية ..

هادئة وعنيفة ..

إيجا نسرقلك مالوردة نظارتها ..

نسرقلك من الطفلة ضحكتها ..

نسرقلك من المراهقة لهفتها وشيختها ..

إيجا نسرقو من الوقت وقتو ..

ومن الدفا تعنيقة ..

إيجا نسرقلك من الشتاء رعشة ..

ومن القهوة سرّتها وسرارتها ..

ريحتها وبنّتها ..

إيجا ..

الكل هاهنا نيام، أرتال مابعد الحادية عشر ..

صناديق العبث ..

بقايا السجائر الفاخرة ..

قطع الخبز المظلمة ..

لفافات الحشيش ..

القبل الفرنسية ..

حتى خلوتنا القديمة، نامت ..

لنحرق أنفسنا ولنترك من هم أشرف يعمّرون المدينة ..

لا تثقوا أبدًا في الشّاعر، بل ثقوا في القصيدة ..

كم جميلة أنت حين تؤجرين عقلي بعقد دائم للذاكرة ..

أخاف عليكَ أن تحبَّني فتفقد نفسك ..

أخاف عليَّ أن لا أحبَّكِ فأفقد ذوقي ..

نحن عظماء، إلى أن نشرع في تقزيم ذواتنا ..

إن القاع جمر شديد الاتقاد ..

والفنان طائر عنقاء ذو أجنحة من شمع ..

أمَّا الفن فشمس لا تغيب ..

فإذا ما طار إليها ذاب جناحاه فسقط فاحترق فانبعث من رماده كي يحوم حولها من جديد ..

ها أنا ذا ..

حرٌّ بلا كناية ..

نونٌ بلا نقمة ..

ألِفٌ تلي ضاد ..

لامٌ بلا ألفة ..

ليلٌ بلا سواد ..

آهٍ يا مساء ..

ها أنا ذا ..

أناجيك والغربة حُلّتي ..

هل من دواء ؟؟ هل من شفاء ؟؟ أ فلا تستأصل عنِّي كبد العناء ؟؟

حين أموت ..

ابلغوا سلامي لتلك البعيدة ..

قولوا لها أنَّها زارتني بمناماتي كثيرا ..

أخبروها أني بكيت كثيرا وأحببتها كثيرا ..

وأنّني لم أعد هنا ..

اختاروا له عند الولادة من الأسماء "نضال"، وحين شبّ، وجد أنّ نُونَ البداية لا تناسبه .. فشجّعوه بأن سحبوا منه ياء الخاتمة، فصار ضالاً غريبًا أينما كان ..

إنَّ مجرد التطرق لنظريَّة المساواة بين الجنسين يعتبر عاملاً أساسيًّا في التفرقة بينهما ..

الوجع، الألم، الذكريات السيّئة، هي مجرّد آثار خطوات على الرّمال، كلّما حاولنا محوها أو طمسها، كلّما دنّسنا نقاء الشّاطئ، وحدها المياه بدفئها وبردها وحنانها قادرة على ذلك دون أضرار جانبيّة ..

لا يهمني إنْ خسرت معكِ نقاشًا .. حسبي أنّي بضحكتك أفوز ..

أكثر الشعراء فشلاً هم أولائك الذين يرغبون بشدة في أن يكونوا الشعراء .. أما الشعراء الحقيقيون فلا تصنعهم سوى حبيباتهم ..

وإنَّ في ابتسامتك سؤالٌ أودُّ لو أمضي العمر أبحث له عن إجابة ..

اكتب، انزف، فرغ روحك في كلمة، ولملمها بكلمة أخرى، طيح في آخر السطر، أرجع السطر وعاود قوم، زيّن شفايفك بهمزة، عنّق الظاء، أشرب نخب العنوان في كل ياء تلقاها، مارس الجنس مع الضاد، أعرق، وأمسح عرقك في الكاف، استلقي على العين، وارتاح .. ماتصنّفش كتاباتك، عيشها، وخلي القارئ هو اللي يصنّفها ..

حب امرأة شيء جميل، لكن حب الحكمة أمر أجمل، وإذا أحببت امرأة حكيمة فذلك أفضل .. المؤسف أن مجتمعنا جعل من النساء كائنات من الدرجة الثانية تنشغل كل الانشغال بشؤون المطبخ وغرفة النوم .. والارتباط بامرأة لا يتجاوز تفكيرها هذا النطاق جريمة في حق الذات المفكرة بامتياز .. موتوا عشقا، أو فليعشقكم الموت ..

أما تعلّمتِ بعد أن لا حياة إلاّ في حضرتي؟؟ وأنّ ما دونها أضغاث أوهام؟؟

وإني أراك قريبة مني جداً، بعيدة عني جدا، أراك ملء يداي .. ثم أنظر، فإذا يداي منك فارغتان ..

تحبُّوا تخدموا البلاد ؟؟ سياسين خَوَنة ؟؟ شباب ضايع ؟؟ ما فمَّا شي يشجَّع ؟؟ ما تأيسوش، ماتفقدوش الأمل .. مازال فمَّا أمل .. أبداو بالطُّفولة .. نوادي الأطفال .. فمَّا مواد خام غادي تنجموا تخدموا عليها .. إلاَّ اذا تحبُّوا عالتصاور والربح السريع .. هاكي حاجة أخرى ..

في ركن غير ذي ركن، لم أكن أعلم، وأنا أراقبها تغازلني في سيجارتها، أنَّ كلَّ قصائدي كانت خرساء دونها .. راحت تتمايل، مغمضة عينيها اللاتي بهنَّ صُرِعت، مراقصة لحنًا لا أدري كيف تسلَّل إلى مسامعها عبر الهدوء .. دنت نحوي تدندن وهي تحبو جاعلة وجنتها تعانق ذقني، وكأنَّها ترجوني أن أسمع صمتها الصارخ يقول: اكشف عن جراحي، فهي مكابرة مثلي، لا تأبى التَّعرِّي ..

ماذا لو ؟؟

ماذا لو أحببتني أكثر ؟؟

ماذا لو تجاوزت بحبُّك صرح الحروف

؟؟ ماذا لو لم تفلت أزرار ثوبك ؟؟

ماذا لو لم أشهد شروق ثغرك ؟؟

ماذا لو أخبرتك أنِّي أعلم قبل انطلاقي فيك، غارق ..

وأنَّ جميع مراكبي في هدوئكِ غارقة ..

و أعلمُ أني برغمِ الهدوءِ ..

تقدّمتُ لعينيكِ بحقّ اللجوءِ ..

ودخلتُ فيكِ ناراً حارقة .. ماذا لو ؟؟

١

❖

وقفتُ أمام منفايَ ..

مرتبكًا ..

أرقُبُ ظلَّها الذي يتعقَّبُني ..

من وراء نجواي ..

يلُفُّ معي الطُّرُقات ..

يقاسمني بارًا في أقصى المدينة ..

والرَّتل الخفيف ..

والأزقَّة ..

حتَّى انتهينا إلى شقَّتي ..

قاسمته وجلي في قصيدة ..

❖

٢

❖

تحسَّستُ خلجاتها خلال التصاقها ..

بنبضي الذي يتسارع ..

والأنفاس التي تتسارع ..

والقبلات التي تتسارع ..

والأنامل التي تتسارع ..

في فك أزرار القميص ..

❖

٣

❖

تحسَّستُ، حين استفقتُ ..

ردفيها ..

وانتفاخ الغياب عند ردفيها ..

❖

٤

❖

استفقت، فتذكّرتُ ..

أنَّنا لم نلتقِ ..

ولم نفترق ..

_ ١ _

أعيش لا يرى مني إلا مايوحي بمروري من ظلي آناء جريان الليل عبر الظلمة التي احترفت بلاغتها فصار لا يسليني من الكون سوى دعاء نفورها ..

لاشيء يدهشني، واللاشيء ضد مبادئ حوريتي ..

أسير وحيدا نحو انكساري، تتبعني إلى موتي أيائل أتعبها هروبها اللاهث مني، فترى غرفتي تغص بها فيما الخواء من حولي مفتوح على الفضاء، فأؤجل موتي وأقرر الرحيل مكتفيا بظلي ..

_ ٢ _

حوريتي تستلقي على ألمي، أشياءها وأشلائي على صليب بمئذنة وتنشد:

ألا أيها المتدثر بملاءة من غربتك ..

هلا عدلت بين جمرة ونار؟؟

هلا أسكتت في الفؤاد عواؤه؟؟

وأخفيتني من خديعتي عبر أشعار؟؟

لا زلت أذكر سيجارتي الأولى، تلك النشوة والمتعة الغريبتين، في تلك الفترة، كنت لا أدخّن إلّا بحثًا عن تلك المتعة، وكان التدخين بالنسبة لي تجربة جديدة عليّ أن أخوضها، ثمّ بدأت المتعة تتلاشى شيئا فشيئا، وصار التدخين بالنسبة لي تعويضا لنقص ما، وإدمان ..

كذا شأن الكتابة، هي عندي إدمان وسدّ نقص، ميزتُها عن التدخين أنّها لم ولن تفقد متعة السيجارة الأولى، أقصد النصّ الأوّل، وشبهها بالتدخين، أنني لا أريد أن أشفى من إدمانهما، مع يقيني أنّ كليهما يستنزفانني، ويأخذان من روحي مع كلّ سيجارة ..

أغرس نفسي في سريري، كما الوتد في معصم عيسى، أنا الوتد والمعصم في آن، وأنا عيسى حين تنتشي حبيبتي، أقرأ حتَّى أتعب، واذا تعبتُ أغازل أحرفي ووهنها حتى اذا ما انتهيت منها أختلي بنفسي، أتحسس مكان الحقنة بمؤخرتي، زالت الحرقة والألم، لكنَّ الحمَّى لم تزل بعد، بل صار يرافقها الكثير من الهذيان، أمسح عرق جبيني بمعصمي السليم وأحاول النَّوم .. واذا ما حاولت النَّوم عليَّ أن أنام، عليَّ أن أفعل كل شيء في وقته، لأن فعل شيئين في وقت واحد، سيؤدِّي حتمًا إلى خسارة الشيئين معا، لذا، أكتفي بالحنين وأعدل عن قراري ..

لا أريد دفاتر هذا المساء ..

فلتعن الآلهة الشعر، القصيدة و الشعراء ..

أريدكِ قلمًا جفّ حبره عطشا ..

أريدك جسدا يا كلّ النساء ..

الآن قصيدتي وشم على خصر جميل ..

وحبر من ريشة حمراء ..

تحملي شعري فإني ..

مللت الشعر على الصفحات البيضاء ..

أريد شعرا يليق بك ..

وهل يكتب فيك الشعر، بغير الدماء ؟؟

ليتني ..

أعانق وجعي في صمت ..

أعصر من سكون الليل خمرًا ..

أترنّم بتراتيل الشوق ..

ثمّ أنام ..

ليتني لم أتعرَّ بمهد العشق ..

لم أذق لذّة اللّقاء ..

ولا ذُقْتُ من نهديكِ مصلًا ..

ولا كان لي بمضيق أُلَفْ دواء ..

ولا أرّقَتْ مدامِعِي مضاجِعَ الأنام ..

ليت الأبجدية لم تراقص أملي ..

ليتني لم أعزف إيمانًا على مللي ..

ليت عرش الصفصاف لم يكن لي ..

ولا القلم فاض بصمت الحنين ..

ولم يلفظ خجلًا حاءً وباء ..

ولا أبحر ثملًا دون يقين ..

ولا اغتصب في الورد حقَّ الكلام ..

ليتني أستطيع أن أطلعك على هذا الوجع الذي يعصف بكياني ..

كم هو مر فراقك ..

مر ..

هنا، في هذا الركن الركيك ..

أنكمش على خيبتي بك، وبي ..

ترافقني كآبتي و صورتك التي لاتفارقني ..

ولا هي حتى تؤنسني ..

فقط تظل تهمس لي: ارحل ..

لا بل تعال ..

أنا أسوديم العاهرة المتنمرة الجافة حين ترحل،

وأنا أنا بضعفي وعفتي وبرائتي حين أحبك ..

مللت شكيزوفرانيتي التي طالما كانت تحميني ..

هل لي بعناق أنصهر فيه بأسوديم ؟؟

أنا رجل شرقي سافل حقير نذل وابن سوق، أعربد بلا وازع ولا رقيب، أشتُمُني وأشتُم الجميع بلا حياء .. أنا السكّير زير النساء، أبصق على سريري كلّما زارته غانية، وأبصق على كل فتاة بريئة أغويتها فاستلقت على سريري هلعًا من ضجيج الذكور .. أنا ابن السوق، والشوارع لم تعلّمني كيف أكون لبقًا كيّسًا عذب الكلام، بل علّمتني كيف أبتلع كلماتٍ عجاف يلقيها على مسامعي سياسيٌّ بنصف بنطال وربع نخوة، يجفف جبينه ببضع تنورة البارحة كلّما ضجّت قاعة نزل الخمس نجوم بالتصفيق .. أشعر بالخزي كوني امتداد لسلالة آدم البغيضة، وعضو بهته المنظومة الكونية النّتنة، حتّى أبي أرى أنّه متواطئ متخاذل، إذ ساهم في استمراريّة المهزلة بينما كان بامكانه إيقافها، كان حريًا به أن يكتفي بالقليل من المداعبة وينام ..

قال : – أعدك مولاتي، أن أكون سدًّا منيعا ، يحول بين دمعة، وكحل عينيك .. احمرَّ وجهها خجلا، أمسكت يده بكف متعرّق و قالت : – فقط ؟ ابتسم، زاده خجلها جنونا، أراد أن ينعم بالمزيد فقال : – وأعدك أن أكون الطفل العابث في وحل أحمر شفتيك فلا يتعب ..

فيِ يومٍ مضى ..

ظننتُني وجدتُني ..

وكنتُ قد صرتُ ونفسي أغرابًا ..

جريتُ ..

هرولْتُ ..

وصلْتُ ..

وحيِن وصلْتُ، وجدتني نفسي سرابًا ..

فكيفَ للقيا الحبيب سبيلُ ..

اذا كان ضميرانا ..

مفردان ..

قد غابًا ..

حين أحبك ..

أشعر بنوع جديد من الكبرياء ..

كأنني محوت كل تاريخ هزائمي ..

و علوتُ عرش أرجاء السماء ..

أشعر أنني من شفاهك ولدتُ ..

بكل ما في حروفي من نقاء ..

حين أحبك ..

أفرح من كل قلبي ..

و أشعر برغبة في البكاء ..

حين أحبك ..

تتمخَّض أحرفي في وريدي ..

و أعيش بثلاث دورات للدماء ..

إيَّاكم ومناداتي بالشاعر ..

ليس ما أقول شعرا ..

أنا فقط رجل بحياته إمرأة، تخجل الكلمات حين تكون عنها ..

فتخرج متعطِّرة بعبق حياءٍ أنثويّ ..

سألوني لِمَ غيّرَ قلمي مساره ..

و بعد كلام الوجع واستعاره ..

صار حلوا كشجى غيتاره ..

قلت هو طمث الحب، أوقد ناره ..

مذ عرفتك، كلَّما أطلَّ عليَّ يوم جديد، كلَّما أحسست أنَّني طفل أصغر .. وكأنَّني بعمري لا يتقدَّم إلَّا إليكِ ..

أيا شاعرة هلا سكتت ..

حتى نرى الشعر جميلا ..

فإني لعمري اكتفيت ..

من مصرع صدر وعجز صار قتيلا ..

وإني لأرى القوافي هناك ..

تصارع أحرفا أنا دونهن مناك ..

ولحمقك ترين كل لعاب يسيل في هواك ..

تفتعلين غيرة من تلك وغيرة على ذاك ..

وذوي البصائر هل يبصرون ..

قد يبصرون ..

لعل ..

بعد إذ وهن حرفك ..

تجلى .. ..

اختلِ بنفسك وغازلها، راودها عن بقايا الأمل المنكوب، لا تحتضر، اسكب في كأسك يأسك ولا تتأوّه، فالشكوى ريح من الضعف، والضعف شكل من أشكال الموت ..

و ستنتهي أيامي يوما ما ..

لكنّني سأضلُّ أكتبكِ قصائد تتغنّى بها الآلهة ..

أيا دمعةً لا ترأفي، وزيدي المسيل ..

فالصمت في حلقي تمرّدَ ..

وهيرا ماعادت تؤنس وحدتي ..

و نمسيس تمرَّدت وابتغت موقع السؤددَ ..

بل زادت في حرّ الشَّوق ولم ترتضي لي بلسما ..

يا هيرا اغفري إن تملّكني لنمسيس الهوى ..

فهي المداوي والطبيب الأوحدا ..

فالدَّمع يسيل تارةً بشأن غيابها ..

وطورًا يأبى النزول تشوُّقًا وتلوُّعَا ..

نمسيس سيري في وريدي كفاكِ تحصُّنَا ..

فيضي وألاَّ صرت قتيل وجعٍ هامدَا ..

عزيزتي العربية، عزيزتي المرأة ..

أنتِ أثمن ممّا كتب على قصاصة الثمن بقميصك ..

أنتِ أرقى من نوعيّة العطور والماكياج الذي تستعملين ..

أنتِ أرفع من تقاصر تنانيرك ..

أنتِ أكثر من عدد متابعيك على الفايسبوك أو التويتر ..

إذا كنت ترين أنوثتك "تبرز" في ما ذكرت، فلن تكوني سيدتي سوى بضعة أرقام على مسودّة ..

لماذا نحيا؟؟ ما الجدوى من كل هذا النظام العصبي والحسي، وكل هته الخلايا الدماغيّة؟؟ هل من المنطق أن تكون وظيفتها هي الحرص على مطابقة أعمالنا مع ما سطِّر بوريقاتٍ صفراء؟؟ هل من العدل أن نكون عبيدًا لأهوائنا ومخاوفنا؟؟ أليس من الغباء أن أطرح مثل هته التساؤلات على أدمغة مكبّلة تكتفي بوضع إعجاب مجاملة وتمرّ؟؟

أنا لم أخذلكَ، أنا فقط تركتُكَ حين فشلتَ في أن تغفرَ لي ذنبًا لم أقترفه ..

أخبروا من سيكتب الشعر بعدي ..

أنني ..

جعلت لهم من نهدي هيرا بحرا تتحابب فيه الأضداد ..

و أنّ لي ..

من ثغرها الغجريّ خمر، ما استسغت مثله في عصارة الأعناب ..

فأنَّى لي ..

بربّكم أن تهدأ القوافي في ضجر وريقاتي و تروم السكون ؟؟

و كيف لي ..

أن تستكين قمّة السطر عندي، بينما على مرأى من ناظري الثمل تتمايل ذات خلخال ؟؟

تراقصني، باهتزاز خصر شرقي على نغم صاخب ..

وتعقد في سخرية قران الحرام والحلال ..

ما الأشدّ كفرا يا ترى؟ ستيفن هاوكينغ؟ أم نظام يموت أطفاله قهرًا وفقرًا وجوعًا؟ لله درّك يا فايسبوك كم أنجبت "فطاحلة" ..

أليس من الغباء أن نثق بالسّراب وقد أمضينا العمر بين الصّحاري؟؟ نحن نولد موتى إلى أن نجد لنا سبيلًا للحياة ..

ويبقى السؤال الذي يراودني كل ليلة، يغازل إجابة تتوارى خلف النّعاس، هل عشتُ اليوم كما ينبغي كي أستحق اشراقة الغد؟؟

ما ذنب الرّيح في تهاوينا؟؟

يا وجعًا أرّق ليالينا ..

أنا رجل يتّخذ من الشّكّ فلسفةً ومنهجًا معرفيًّا، وهذا ما يجعلني أشعر بالنّجاح والنضج الفكريَّيْن .. أنا رجلٌ قليل الشكّ في الآخر، وهذا ما يجعلني أفشل اجتماعيًّا .. أنا رجل أشكُّ في الشيء بيقين، وأثق في النَّاس باحتراز، وهذا ما يجعلني أنا ..

صباح الخير يا ليلا عانى منِّي الكثير ..

الطين ؟؟

ماء تلوَّث بالتُّراب ؟؟

أم تراب تطهَّر بالماء ؟؟

ما أنا إلّا جثمان يتنفّس، وبعض الأوجاع تتجاوز جدران الجسد ..

أتساءل حين ألتاعُ ..

أيُّ الوَجَعَيْنِ أخْتَارُ ..

لا أشعر بشيء، وهذا اللّاشيء يقتلني، أتمنّى فعلا أن أجد إجابة تشفي غليلي لسؤال كيف حالك، فلا إجابة بخير تصفني، ولا عكسها يفعل .. أشعر كأنني أمتلء بكل شيء حدّ الإنفجار، وكأنّني فارغ حدّ الخواء، لدرجة أن أحسّ بفراغ فيزيائي كما الفجوة في صدري، أشعر بالرغبة في كل شيء، وبالتعفّف عن الأشياء جميعها، فكأنني أريد الشيء ولا أريده .. أشعر بالجبروت والإنكسار، أشعر بالنرجسيّة حدّ المرض وبالتّواضع حدّ الوضاعة، أشعر كأنّني لست أهلا لهذا الوجه البائس، أشعر وكأنّ هذا الوجه لا ينتمي لي، أشعر بالعظمة حدّ التغطرس وبالضّعف حدّ البكاء، أشعر بالتحّرر حدّ الطّواف وبالإنتماء حدّ الإختناق .. لا أشعر بشيء .. أشعر بكلّ الأشياء، إلّا أنا، لا أشعر بي .. لم تعد بي رغبة بالبكاء ولا بالضحك .. لم تعد بي رغبة بالحياة ولا توق للموت .. كيف حالي؟؟

هي أجمل من هيرا .. أعمق وأثرى من يوتوبيا .. وأغبي منّي .. ليتني كنت تافهًا ..

أقول، قَدَرٌ أحمقُ الخطى ..

كما النّوقِ سقنا، إلى مرعاهْ بعيرُ الحُبِّ، حَبُّها ..

وسُقْيَاهْ ..

هَلِعْنَا، بِحَثِّ الخُطَى ابتغيْنَا أمَلًا، فَلَمْ نلقاهْ ..

خُدِعْنَا، كما الأنعامِ جُمِعْنَا رَفَعْنَا الأكُفَّ نحو السّمَا بَايَعْنَا أصفَرَ النَّابِ ومَنْ والاهْ ..

وعُدْنَا، نَرْجُوا سَبْعًا سِمَانًا كما وُعِدْنَا فَقَتَّلَ السِّمَانَ، ومَنْ عَادَاهْ ..

رَدَّدْنَا: ما خَابَ الشَّيْخُ بل نَحْنُ خِبْنَا ..

وإنّي لَأنشطِرُ حين ألقاكِ ..

نصفُكِ يشتهيكِ، ونصفي يهواكِ ..

كم أكرهك حين تجعلينني أرغب حد الجنون أن أنام كما الرضيع، راحة كفي على نهديك، حلمتك بين شفتاي، ولسان حالك يقول .. ما أعظمك وأقساك خارجًا .. ما ألطفك وأصغرك بين يداي ..

مُرهَقٌ أنا، كحلَمة عجوز أرهقتها الرضاعة ..

الحياة عادلة، تعطي لكل ذي قدر قدره .. فعلى قدر عظمة الشخص تكون المصائب ..

نحن نولد موتى إلى أن نجد لنا سبيلًا للحياة ..

أسائل نفسي .. من أنا؟؟ ثمَّ أهرب من المواجهة لأنني أعرف أني سأندم اذا ما أجبت .. أراوغني لأستنكر، من ذا الذي يسأل ؟؟ فأغضب لنفسي وتغضب مني لترحل عني .. لم اعد كما كنت .. هذا الصباح لم اجدني .. واختفت رائحتي مع أول سيجارة صباحية بلا طعم .. فتحت روايتي المفضلة فوجدتها فارغةً من العناوين .. خفت .. نزلت مسرعا الى الشارع وسألت عنّي .. قالوا : مرت من هنا عاريةً وجميلةً .. ككل مرة تهرب منك .. حينها توقفت ..

ألا ترى؟؟ صرنا نتعامل بكل مشاعر بلاستيكية ظاهرة،نتظاهربالسعادة في المنزل، في الشارع، في البار، بين الجيران .. حتّى حبّنا صار بلاستيكيا بشكل موجع، ألا تشعر بالأمر؟؟!! صرنا نعيش روتينًا قاتلًا، لم أعد أطبخ حبًّا في ما تأكل، بل صار الواجب ما يدفعني مكرهة إلى المطبخ، وأنت ما عدت تأكل حبًّا في ما تطبخ، بل جوعًا .. حتّى الجنس، لم يعد لهفة ورغبة ونارًا كما كان، بل صار دواءً، أجل صار دواءً، صرنا نتداوى به من الضّغط والاكتئاب .. ألا ترى؟؟ صرت أبحث فيك عنك حين أعتليك، لا أجدك، فأسارع بالانتهاء .. صرت تبحث فيّ عنّي حين تفترشني، لا تجدني، فتسارع بالانتهاء .. ألا ترى؟؟ لم نعد مثاليّيْن كما كنّا، بل صرنا نتباهى ونتماهى في التّباهي ..

تبحث المرأة في المقام الأوّل عن رجل يبادلها الحب والاحترام، فإذا خابت تبحث عن رجل تحبّه، فرجل يحبّها إذا لم تجد، وإذا خابت تبحث عن رجل يبادلها الاحترام، ثمّ بعد فشلها في إيجاد ماسبق، تجد نفسها أمام خيارين: إمّا أن تبحث عن رجل يتقن فنون الجنس على الأقل، أو، إن كانت قويّة بما يكفي، تعزف عن الرجال .. أمّا الرجل، فيبحث في المقام الأوّل عن أنثى ترضي ثلاثًا: العائلة، المجتمع، وعضوه الذكري، فإذا لم يجد، يتّخذ لنفسه ثلاث إناث ترضي كل واحدة منهنّ طرفاً ..

إنّ الزواج ليس ولاية ولا وصاية، من الغباء أن يعتقد الرّجل أنّ بارتباطه بامرأة صار لها وليّ أمر وعليها وصيّا .. إنّما الزواج عقد تُفتَحُ بموجبه قنوات التآلف بين قلبين وروحين، فإن أنت ولّيتها على قلبك، ولّتك على روحها، وإن ولّتك على روحها احتوتك واحتويتها، وإنّ الاحتواء إن وُجِدَ كان الحب، وصار خالدًا أزليًّا، لا شيء يدنّس نقاءه سوى غياب الاحترام ..

كان الطريق متاحًا إليها في يومٍ ما .. ولازال .. لكن، لم يعرف مالذي أصابه، أهو جُبْن أم ادمان للوجع؟؟

كيف لا يصيبني الاكتآب وثورجيّة بلدي والغيورين عليها يلعنون يوم الإثنين ؟؟

غريبُ أنا، كغربة شعرة سوداء ضلّت طريقها إلى شيبتي ..

ما السؤال الواجب طرحه ؟؟ الإجابة لا تهم .. السؤال هو الطريق ..

الشاعر .. يتألم كثيراً

.. ويحاكي همومه في دفتر صغير

..يكلم خِلاّنه بنبرة أقرب للاختناق، ويتسائل كثيراً ..

وفي الصباح .. يبتسم،

يضع العطور، يختار أعبق العطور، ويجامل الشّمس

.. ويضع نظّارة غير تلك التي أبصرها بها يوم أمس ..

يحادث هذه، ويضحك مع ذاك .. وبالتأكيد يجعل لسان حاله يقول:

) أنا أسعد رجل في العالم(

.. يعود في المساء، وتكتب : عزيزي المساء .. مازلت وحدي أتحمل .. وما زالت وحدك تشعر بي..

حين تكون المرأة ملحدة أو لادينيّة أو يساريّة أو شيوعية .. أو حتّى إن كان قد سبق لها بعض الممارسات الجنسيّة .. فهذا لا يجعل من جسمها محطّة عبور مفتوحة للقاصي والدّاني .. فالشّرف مبدأ، لا تُقنّنُهُ الأديان، ولايقطن الفُرُوج..

قالوا: كفاك ما كتبت من الشعر .. وإن لم تستطع، جد لك موضوعا غير المرأة تكتبه .. قلت: سأكتب ماحييت، وفي الموضوع الذي أشاء .. و إن قررت يوما التوقف، فستبقى المرأة قطعا عاصمة أشعاري .. وستبقى حائط المبكى في قصائدي..

لازلتِ تلك التي أرى .. ولازلتُ ذاك الذي من نهدك ما ارتوى .. ذاك الرجل الشامخ الذي كلما افترش جسمك صار .. صبيًّا بريئًا وفي حضنك انطوى..

تعذبني تخلقني تخنقني تغتالني تمقتني

.. تسقط في أحضاني ضعفا و تذوب ألما ..

تبحث عن قوّة تحميها منّي فتفكّر فيَّ ..

الخوف يسكنها و أصوات أحرفي تهاجمها ..

فتردّد بتلعثم: أشهد أنّي بكماء ..

أشهد أن لا شاعر إلّا أنت

.. تراقبني واللذّة تراودها عنّي ..

أشهد أن لا شاعر إلّا أنت، شيطاني

.. هيرا ترقص فرحاً ..

هيرا تبكي

.. هيرا تثمل ..

هيرا تنتحب

.. هيرا ترسمكم كعيون ذبلت بكاء

.. هيرا تزيّن شفتيها بأحمر الدماء ..

هيرا بين ذراعي تردد لن أخون ..

هيرا تمزّق أظافرها صدري ..

هيرا تنتشي ..

هيرا تنام ..

و أنا أبثّ بين نهديها بابل، و زهور

.. فإذا ما أينع الورد و أزهر، صارت شفاهي بها تغرس لي جذور ..

هيرا تثور ..

و تواري وجهها ماشاءت وفي أحضاني، هربا من عناقي تدور ..

كلُّ شبر فيها صار ملكي، ووثيقتي أصابعي والحضور ..

تمطر كالسماء فوقي سخيَّة، وسمائي تمطر من ملح البحور..

اكرام الضّيف ثلاثة أيّام .. وحقُّ الوجع ليلة، لم تنتصف منذ سنين..

نستطيع العيش مكفوفين طول حياتنا .. لكننا قطعا لن نصمد ٣٠ يوما بلا طعام .. رغم أن رغيف الخبز لا يضاهي في قيمته لمحة بصر واحدة .. وفي معادلة حسابية، الخبز أقل قيمة من الكتاب .. وبعض الأعمال الفنية أغلى من الثياب رغم أن الثياب أهم .. وبالتالي قيمةُ الشيء لا تتعلق بقدر الحاجة إليه، بل بقدر ما نصبح عليه إذا ما تحصّلنا عليه .. فحصولنا على الخبز يجعلنا مساويين لباقي الأحياء .. ولكن حصولنا على "الفن و الذوق" لا يجعلُنا أحياء فحسب .. بل يجعلنا نتميَّز .. الضرورات، أو المادة بكل صراحة، تجعلنا نضع أقدامنا على أدنى درجات الحياة .. أمَّا ما يرفعنا إلى الأوج من طبقات الإنسان، فهو الفن والذوق..

كي تنجح الأنثى في مجتمع بني يعرب، عليها جعل جسدها شعبيّا والقضيّة شخصيّة .. أمّا إذا جعلت القضيّة شعبيّة وجسدها شخصي، فعليها أن تواجه تهمة الفسق والفجور..

أذكر أنّ الوقار اعتزل ليلي ..

أذكر أنّ ثوريّ تخندق وراء خيبته الكبرى ..

أذكر أنّ الكناية قد انحسرت

.. تعفّن فينا الشرف ..

ورفاقي جفّت حناجرهم

.. رقّت مآقيهم ..

لست وحدك رفيقي

.. فأنا وأنت داخلنا، نغصٌّ شوقًا لنا..

ما الفظاعة ؟؟

أن يدّثّر الذئب في ثوب القطيع ..

ما القطيع ؟؟

أن تبول الأتان فتصفّق الجماعة ..

والشجاعة ؟؟ ثورة شعب لا يبكي المجاعة..

-لا وجود للرّب – ..

بلى - .. ما دليلك ؟؟

-إن لاوجود له، من برأيك إذن يشرّع جرائم القتل لدى اولئك المرضى ؟؟

ولي في ما أكتب سبعون قلمًا ..

للألم فيها نصيب ..

وللأمل لفتة ..

بعضها يُطلقني وبعضها

.. يغتالني

.. لا تجادلوا كثيرًا ..

ما رأيتم في الحرف من فرح فهو لكم

.. وأمّا ما فيه من ليْلٍ فهو لي..

أمّاه ..

أيا أنثى تحتلّ تفاصيلي ..

أيا برد الأنوثة ..

جِدِي لي على جبينك، أرضًا لم يزيّنها وشم أمازيغيّ، أقبّلها ..

أخبريني عَنك ..

قولي ولو كذبًا ..

أنُّه صادفت ليلة كنتُ محمومًا فيها ولم تذرفي ..

حَدّثيني كيف كنت أترك فمي على رصيف صدرك ..

يبتهلُ مدن غضبكِ العقيمة ..

أن تكون ثائرا يا بُنيّ، هو أن لا تقنط من كَرَمِ أرضك، وإن جاعت ..

أيا ربُّ ..

ستقتُلُكَ الأماني قريبًا ..

وإن لم تُبقي منها

.. سوى سكرتين، وعين ..

وفم يدعو عليكَ ..

في المغربين

..وإن قنُط منكَ الحاجبين ..

فتابوتكَ ليلها ..

وصدر سخيٌّ ..

وثورة ذهب من الرافدين..

-أين كنت ؟؟

-مررت على عتبة الموت يا أبي – ..

و محبّيك اللّذين افتقدوك ؟؟

-مررت على عتبة الموت يا أبي

- !!و إن أقلق غيابك منامهم ؟؟ -

كنت على فراش المرض يا أبي

- !!إن كان لابد لك من المرض، امرض وأنت في صحّة جيّدة، لأجلهم!!

أسبوع مر بلا كتابة ..

حاولت فيه نحر الشوق على غير قِبلة ..

حاولت اقتلاع حدائق الحنين من حلقي ..

حاولت نثر لهفتي في ليالٍ معتوهة

.. حاولت وحاولت وحاولت

.. فلم أقدر

.. فهاهنا صبيان الشوق يشتدُّ عودها وتكبر ..

كرهت وقاري المزعوم ..

فلم يعد للحلم عقل يغفر

.. أنا العربيد، لا أملُّ صدرك المثخن بي ..

ويْحي، ويْحي من هيرا ..

ويْحي من ثمر تنجبه من فمي

.. ويْحي من شغب أحمر تزرعه في دمي

.. ويْحي من دفاتر في غيابك مولاتي، تصحّرت ..

ويْحي من كلمات لم تُقل فيك فاتنتي، تبعثرت .. ويْحي..

قد يصدف يوما أن تتوغل في أدغال السكينة الموبوءة بالصّخب باحثا عن موضوع للكتابة، تبحر وتبحر وتبحر .. تأتيك هواتف مألوفة تنازع صرخة الموت لتقول أنا ها هنا، لم أمت إلّا في ذاكرتهم، فتمضي، وتبحر .. يلبسك شيطان في حلّة غانية، دعك من الكتابة، أنا هنا، اشربني حتّى تنتشي، تصرخ فيه، انسلخ عنّي، ففي ابتسامتها نشوة، تطرده كالسياسي الخائن المفضوح من تحت أظافرك لتمضي قُدُمًا، وتبحر .. لا تعبث باغراءاتهنّ ولا بزيف صدق نصائحهم، وتبحر في بحر وجدت نفسك فيه فطْرة، لا تعلم له نهاية، أمّا بدايته فقد ورثتها في كتب تاريخ مشبوهة، قالو نفّذ ولاتدقق .. تحاول الموت من حياتهم، تنسلخ عن دروبهم، عن إعجازهم الموهوم، لا تجاريهم ولا تجاورهم، فهم كالوباء السريع الإنتشار، لا يسكن غير الأحياء المظلمة التي أعماها الفقر عن الفنّ .. تلسعك ترانيم أغنية يتمتم بها جليسك، تتبين ملامحها فإذا هي أغنية يبثّها المقهى في الجوّ، عطِرةً كريح سنِين خلت ولم تخلو من خليل لم يخن سيجارة اقتسمناها مشاطرة، ولا كأس انتظرت أيام كي نجتمع فتُشرب" .. تعالى نخلّي الحلم حقيقة .. "تنتهي الأغنية تاركة إياك تسامر المارّة في سيارات التاكسي، لا تعلم إن كانوا هم المارّين فعلا أو ان كانوا مجرّد محطّة تمرّ بها كلّما أزمعت الألم .. وهؤلاء، روّاد المقهى؟؟ تجيبه، هم شأننا، ينتظرون غدًا، الفرق بيننا أنّ غدهم بعد سويعات، وأنّ غدنا نبنيه بأيدينا من أجل وليد آت .. والأمطار، صاح آخر بنفس المقهى بالميناء، أسيجلب لنا المطر معه كما وعد؟ فالمحاصيل تستغيث !!يجيبه صاحب الكرش الكريهة بجانبه، قد وعدنا، إن كنّا قطيع أبكم كما يشتهي، أن يجعل قلب ربّه يرقّ لتذللنا استسقاءا .. لا! يصرخ آخر متأبطا كتابه، بل وعدنا باقتسام المحاصيل مناصفةً .. لكنّك لم تعمل وتتعب مثلنا !! بأي قانون تريد موازاتي ؟؟ هنا ذُكرت القوانين، ملوّحا بالكتاب، الكاتب قد فكّر عن المظلومين .. كتابك أصفر، وليس أخضر ككتابنا، يصرخ أحدهم في بنطال لم يمسّ حذاء في حياته .. ويصرخ صاحب البدلة، الحلّ في تطهير الجبل من الجرذان، هي من تأكل المحاصيل .. ينفعل رفيقي، حمقى!! أنتم من أهمل المحاصيل، أنتم من علّم الجرذان الطّريق لحقولكم وأسكنتموها عقر دياركم، لا تنتظروا ربًا يسقيها، ولا قادمًا يحميها، تنوّروا، اقرؤوا يا شعب اقرأ، فمهما كان الآت سيخدمكم إن كنتم فاقهين، أنتم الأسياد ولاهو، أرضكم بكم تصير جنان، وما القادم سوى سمسار .. يتّحد الجميع فجأة بعد أن تفرّقوا، مخبول .. أخذت صديقي من يده بعيدا عن الميناء، نفكّر كيف نبني الغد، وتركناهم ينتظرون القادم غدًا..

حدث أن تكون جالسا بمقهى لا تعلم كيف ساقتك قدماك إليه، تحملق في الواجهة الزجاجية أمامك، وتستمتع بتبعثر آهات سيجارتك كلّما لامست البلور .. يأتيك النادل قائلا في تردد: الكل بالمقهى هنا يتساءل، عن كم الحزن الذي يحمله هذا الغريب، مابالك أخي؟ تشيح بوجهك الشاحب مواريا دمعة كان قد آن أوانها منذ أمد لتعود فتقول، لا شيء، أنا فقط أألمني..

أرتشف القليل من مرِّ القهوة كلّما اشتكى حلقي حرقة، على مهل، في تأنِّي سكرة موة تغازل مسنّ طريح .. لا أعلم مالأكثر مرارة، قهوة مرَّة، سيجارة تأتي بذكرى مع كل نفس، أو نسيان يستحيل .. ولِم المحاولة إن كنَّا نعلم مسبقا أن لا مجال و لا جدوى، بل عوض المحاولة، علينا العمل على اعتياد الوجع وعلى تصنُّع اللامبالاة كلّما وقفت بنا خطانا على عتبات الذاكرة .. ثمَّ، كيف تنساني الليالي وأنا سجينها ؟؟ كيه تنساني الآهات وأنا كليمها .. والوجع سادتي إدمان، الوجع وجع وإن اختلفت فيه الكنايات من قلم لآخر، وهو كالموت والفراق، ذو ذوق رفيع .. وللوجع إطلالة بهيَّة، فهو الضيف المبجل المحبوب دوما وإن ثقُلت زيارته، وللضَّيف على المضيف حقّ، وحقُّ الوجع علينا اتقان الشعور..

شردت قليلا، ابحرت بناظريها في اعيني نزولا إلى شفتاي، عضت شفتاها وقالت: هل لك شاعري أن لا تغازل الوجع هته الليلة؟؟ قلت، وهل لك في المقابل ، فاتتني، أن تمنعيني عنه دهرا؟؟

هي: لمَ تضع حافظة نقودك في الجيب الذي يلاصق قلبك دوما ؟؟ أنا: لأنَّ بها بطاقة هويتي .. هي: والمعنى ؟؟ أنا: إسم أمي موجود بها..

وقفت أمام دولابها، عاريةً إلّا من الغرور، و قطرات الماء الدافئ تتقاطر من قمم نهديها. نظرت في فخر إلى انعكاس صورة قوامها المشوق على زجاج النافذة، فخر زاد في تلك القمم ارتفاعا، و إلى أنفها شموخا .أخذت في رفق منشفتها ذات العطر الملكي المستورد، ثم شرعت في لين تمحو آثار الاستحمام، وهي تراقب اهتزاز نهديها كلّما أمالت رأسها لتجفيف شعرها البنيّ الدّاكن، انهمكت في التهام تفاصيل جسدها بوصة بوصة بعينيها الكستنائيّتين، و تتذكّر ملايين عبارات الاعجاب و الغزل .كان الوحيد الصّادق في عباراته، الوحيد الذي كانت عباراته موجهة لها، و لها فقط، عكسهم الذين كان يلوحين بتلك الكلمات لكلّ أنثى تحرِّك مفاتنها فيهم غرائز مكبوتة .بدأت بعض الترهلات أسفل بطنها في الظهور، و صار الإسوداد تحت عينيها يتزايد من جرّاء السهر و قلة النوم، و بدأت المساحيق تذهب بنضارة بشرتها و تُحيلها جفافا، أتراهم سيبقون حين يذهب هذا الجمال يوما ؟؟ "لا !! سأبقى جميلة إلى الأبد" ثم استطردت: "هو أحبّني بصدق، لم يكن جمال خلقتي هو ما أحب حتّى يذهب بذهابه، لكن، أتراه ينتظرني؟ ماتراه يفعل؟ ماذا يكتب؟ ماجديده ."سارعت إلى الحاسوب و اتصلت بالفايسبوك كي تلقي نظرة على حائطه، فاستقبلها أشباه رجال تراهم رجالا بعبارات ترحيب و شوق مزعوم، زادت على غرورها غطرسة و انساقت تسامرهم حتّى أخذها النوم مع مطلع فجر جديد .وبعد يوم مجهد، أخذت حمّاماً مقتضباً، ثمّ عادت تخاطب مرآتها من جديد.

وحيد في أنا عالمي الكبير

.. غريب وسط الزحام ..

معالم الوحشة تلف كياني ..

القمر هاهنا ليس قمري

.. ذاك الذي طالما حاكت نجواه فؤادي

.. فاحتضنتني بوادر سعادة وهناء

.. أناديك والفجر يزين حبيبته بوشاح ذهبي قبّلته الشمس

.. أغنيك ..

والقلب قيثارتي ..

ولحني الحب ..

أهاتفك بكل قوتي

.. تعالي ..

إني بعدك أتجرع كؤوس المرارة

.. تعالي ..

فلن تداعب نفسي أوتار الفرح ..

إلا إذا أشربتني كأسك ..

مرة ..

وثانية وثالثة ..

وسمحت لليلك العتم أن ينسدل فوق صدري

.. فيحجب عني هؤلاء الناس الذين لا أعرفهم

.. آه يازمن ..

أهكذا تفعل بالعشاق

.. ما عساك تكون لو تلتقي العيون

.. وتتعانق الشفاه

.. وتصلّي الملائكة الحب ..

وتغني الطيور الغرام .. تعالي ..

فأنا من يحاول كتابة قصة حبه على صفحات الماء..

وقفت وكلها لهفة، وكلها شوق، تنتظر عناقا يذهب ببرد سنوات .. رمقها بنظرة كلها حزن و ألم، ثم قال - :علّك تتساءلين، إن كانت تلك السنين قد غيرتني، إن كنت قد صرت أخيرا، رجلا يصلح لإمرأة .. آسف، لكنني كما أنا، رجل عابث، امرأة واحدة لا تكفيني .. ابتسمت في كبرياء الأنوثة، سكتت هنيهة ثم قالت - : أوَ تعلم ؟؟ لقد غيرتك تلك السنين فعلا، فقد صرت على الأقل صادقا .. ابتسم، أدار لها ظهره ثم أطلق العنان لدمعة حارقة، ثم قال في نفسه : بل أنا أبعد مايكون عن الصدق، صرت كاذبا بامتياز..

يقال، لكل من إسمه نصيب ..

والهمزة حظٌ هيرا

.. بالأمس، وقد فارقها ظلُّها عند المغيب

.. انعطفَت بعيدا عن الناس، أخذّتْ كرسيا هادئا

.. جلست نائية عن الجميع منتظرة شمسا تجمعها به من جديد

.. وحيدة كهمزة أخطأ القدر املاءها فأُسقِطت منفردة على السطر

.. كهمزة بلا نبرة، احتاجت حضنًا يخبئها فلم تجد غير حرف يعتليها

.. كهمزة تعبت سكونها، جلست على رأس واوِ تجمعها بما بعد وتمنعها عمّا سبق

.. و مِيمُ المُدام ترمقها من بعيد، من وراء سمع المُنادَى ..

تعود الهمزة، تاركة ألفها بغير ذي وصل، لا محلَّ له من النطق

.. لتستجمع قواها بنون، تنهي به ليلتها ..

منتظرة أن تبدأ بها ليالي أخر، واسمي

.. امتهنت اسمي، ولكل من اسمه نصيب ..

ولا نصيب لي في اسمي غير حرف يسند همزة، إن أُسقِطت عمدا على السطر..

خذيني بعيدا

.. حيث التراب ..

حيث يقبع شبح اللاّشيء في عيناك منتظرا

.. أول قارع للباب ..

أتركيني وحيد .. هناك،

سأجد القصيد

.. و هناك فقط

.. سأكلم الأموات

.. لأسمع الحكايا

.. و أسترجع الذكريات

.. سأجلس

..فوق المدامع ..

سأجلس بين العظام ..

بين الرفات ..

أفكِّر في صيغة أخُطُّ بها الدعوة

.. لمأدبة أنت متن نصّها

.. ولن يعرفوا الكاتب ..

ولا القتيل ..

لن يتساءلوا حتَّى

.. فسيغشي الجوع أبصارهم

.. فلا يبصروا ضوء الفتيل ..

خذيني هناك و أتركيني

.. أواجه أشباح الموت وحدي ..

أنتظر ما قد يأتي يوما

.. و إن طال الزمان ..

سيأتي يوم لا محال ..

أنام فيه هناك ..

ستنسون إسمي ..

و وجهي

و تنسون حتَّى أنَّني

.. كنت يوما هناك

.. و تنسون حتَّى أنَّني ..

كنت على رأس الطاولة ..

كنت أنا متن القصيد

.. وكنتَ أنتَ أيها السياسي العائد من تحت التراب

.. كنتَ حاشيتي ..

وحاشية القصيد ..

كنت النَّشاز المملّ المطلّ من الشباك.

اسمك فاتنتي لا يُكتب، بل هو يُسمع فقط، كعزف منفرد على كمانٍ حزين
.. معزوفة إسمها السرمديَّة والأبديَّة والخلود ..

معزوفة لمستمع وحيد

.. كيف لي أن أسمعها بحياد وبلا تصفيق

.. وهو فصل من قصّة عشق حاكتها الصدفة ..

وأنا رجل أتعبه نشاز الأسامي..

لا يموت الرَّجُل طالما تنعمُ ذكراه بحضن امرأة ..

أيُّها الربّ ..

تحية شكر وإجلال وبعد ..

بعد التحيات والسلام وسرد ماتسنّى من عبق الكلام وطيب العبارات ..

وبلا إطالة في التقديم ولا تنميق في الدّيباجة، يؤسفني عزيزي الرَّب اعلامك بما يلي:

أنا يعتريني وجع لا أعلم سببه ..

وهتي الدنيا التي بعثتني فيها لا تدَّخر جهدا في إيذائي ..

يؤسفني اعلامك أنَّني أذنبت في حق نفسي ..

لا أطلب مالا ..

لا أطلب سعادة ..

لا أطلب مغفرة ..

ولا أريد سكينة ..

فأنا، كالكثير من أمثالي، مهما ساءت حالنا، بخير ..

فعلى الأقل لنا وطن يأوينا، وإن فسد ساستنا ..

على الأقل، إن جعنا، لا نموت جوعا ..

ربي العزيز ..

أتوجّه لك بخطابي هذا كي ألفت نظرك إلى بعض عبادك قد تكون نسيت وجودهم ..

في خلقك يا ربُّ من يلبس جوعا ..

في خلقك يا ربُّ من يأكل غصَّة وقهرا ..

في خلقك يا ربُّ من يفترش قنابل وحطام ..

في خلقك يا ربُّ حزن يسكن عيونا بلا سبب ..

في خلقك يا ربُّ أطفال تعوَّدت الألم، فقط لأنهم لا يعرفون شعورا غيره ..

في خلقك يا ربُّ أناس تشرب مهانة ..

في خلقك يا ربُّ أنثى تستحي لأنَّها أحبَّت ..

في خلقك يا ربُّ ذكرٌ لا أريد تدنيس الرسالة بوصفه ..

في خلقك يا ربُّ أنثى فقدت معناها ..

في خلقك يا ربُّ رجُلٌ صارت قيمه جريمة، جزاؤها التهميش، أو الإعدام إن عظم شأنه ..

في خلقك يا ربٌّ من جعل من الظلم مهنة، خذه إليك إن أحببته سهوا أو خطء، وخذه عنَّا إن كرهته ..

أعلمُ، أيها الرَّبُّ أنَّ رسالتي لن تُقرأ، بل ستُوثَّق كي تستعمل كدليل ضدِّي في يوم ما ..

سلامي إليك أيُّها الربُّ أينما كنت، وآسف إن أقلقت منامك ..

- ويحك أيُّها المعتوه، لا تقفز، الجوّ بارد ..
- وإن يكن ؟؟
- ألا تخشى المرض ؟؟ –

لا ..

- ألا تخشى شيئا ؟؟
- على الإطلاق ..
- والله ؟؟
- إلاهي الذي أعبده يُحَبُّ ولا يُخْشَى ..

ولكن ..

- ولكن ماذا ؟؟
- إن خشيته يوما، فسأخشاه فيكِ ..

في اللغة العربية لا يوجد مذكر لكلمة عذراء .. لا يوجد مذكر لكلمة عاهرة .. لا يوجد مذكر لكلمة جارية .. والقائمة تطول .. وتتساءلون أين أصل الداء .. مجتمع ذكوري بامتياز ..

السكّرة الأخيرة ..

هلّلُوا يا .. ..

ترى هل تعود ؟؟

لا أعلم حقًا فهي لا تعلم إلى أي مدى أحبُّها، ولنكن صريحين، أنا أيضا لا أعلم إلى أي مدى، ولا أدري حتَّى من أنا، فقط أعلم ما أنا في حضرتها، عبث بريء، مجنون، يقظة حالمة، مستهتر بعض الشيء، طيِّع بين يديها طورًا، ماسك بزمام الأمور استحبابًا أطوارًا أخر .. أمَّا هي، اغفاءة من فيض الأحلام، دنيا بلا أبعاد، وهنيهة لم أكن أتمنَّى قطُّ أن تكون عابرة كما هو الحال الآن .. ألاعيب شيطان في صحراء قاحلة، وشاح من نور في سماء صافية، إشعاعة ساحرة لهمسة شمس .. فهل تراها تعود ؟؟ رائعة هي، كلقاء شاعري للشموع في فضاء مشحون بالتراتيل، هلّلُوا يا !! أتراها تعود ؟؟ كنت أجهد نفسي في محاولات يائسة لألمس حقيقة ما يدور حولي من أشياء جامدة في مكانها لا تتغيَّر حتَّى أقبلت، سجنتني بحضن جعل الثوابت تتراقص فتلمسني وألمسها بحواسِّنا، وقفت بقوامها الرَّشيق تراقب بنظراتها الفاتنة ساحرة الجفون دنوَّ خطواتي المثقلة من غبار سنين الوجع .. كان اللقاء بلا ميعاد، جمعنا مصادفة صديق مشترك، كان يمكن أن لا يكون صديقًا لولا تلك الجلسة الخمريَّة التي جمعتنا مصادفة أيضا، وبلا ميعاد .. لكنه كان، فكانت معه المصادفة، تقابلنا مصادفة، جلسنا إلى نفس الطاولة مصادفة، كما وُلِدتُ مرَّتين، مصادفة أيضا .. هل تعود ؟؟ من يدري، علَّها الآن تطوي لمساتي والنسيان، في رحلة عبر موسيقى لها عليها وقعها الخاص، تنغمس فيها تجاريها كعادتها بسيجارة ملكيَّة. هل سأحظى بها ثانية لتعود من جديد يقظتي الجميلة، تدبُّ لمساتها في عروقي وتنسج بمغزلها المخملي على صدري وشم ثوريّ ؟؟ وقفنا متخاصرين عند محل وجبات سريعة، راحت تحملق في الواجهة بينما شرعتُ أملي على النادل طلبيْنا، تجمَّدت قليلاً قبل أن تهمس : - كيف لك أن تعرف أنني أريد وجبتي هكذا بالذَّات ؟؟ - لا أدري، فقط أحسست أنَّك ستُحبِّينها .. كانت خطيئتي أنِّي ترجَّيتكِ في صباحنا الأول أن تمكثي بشقتي ليلة ثانية .. عودي، أعدك أن لا أترجَّى بقاءك ثانية، بل سأرغمك عليه .. عودي، لن أتناسى الصُّور القديمة والخطايا أتَّعض منها، سألتمس من لؤلؤك أن يعود إلى بريقه .. عودي وهلّلي معا كما كنَّا نهلّلُ هلّلُوا يا .. هلّلُوا يا !! هلّلُوا يا !! هلّلُوا يا !! هلّلُوا بسكرتي الأخيرة إن لم تعد ..

يا قابعة بالسجن دون جناية ..

هلاًّ كسرت القيد والأغلالا ؟؟

قد تركتِني في ذا المكان بضع كناية ..

وتركتُكِ قصيدة عمصاء ترفل بين الدواوين جمالا ..

كنت قد غبت عنكم لبرهة غير وجيزة، ولكم يحزُّ في نفسي أن أعود بمثل هكذا موضوع .. لكن ما باليد حيلة، هو ما أفكِّر فيه منذ بضع وتسعون ليلة .. الموت .. قد يكون حادثا عرضيًّا، خطء طبي، حادثا مفتعلا، مشنقة في سقف، ضغطة زناد أو غيرها .. تتعدَّد المشاهد، لكن الموت واحد .. ولعلَّ أجدر هته المشاهد بالدراسة هو الإنتحار .. هل هو جبن أم شجاعة ؟؟ مصير تحدده حيثيَّات متتالية ترتكز على ضعف شخصية المنتحر أم قرار واختيار ؟؟ مرض وخلل نفسي أم قمَّة وعي ؟؟ أم ترى للبعض فضول لا يوصف في اكتشاف إن كنَّا فعلا سننام إثر الموت، أو إن كان الموت صحوة بعد غفوة ؟؟ أليس من المحتمل أن يكون المنتحر قد بلغ درجة الكمال ومثاليَّة جعلت منه ينصب لنفسه محكمة خاصَّة يترأسها كي يحاكم نفسه على ما اقترفه طيلة السنين التي تلت خطوته الأولى فحكم بموضوعيَّة وارتأى في الإعدام حكمًا عادلاً ؟؟

لا نستطيع الهروب من ذكرياتنا بتغير الأماكن ..

فالذكريات كالشَّامة على صدورنا، قد نكون محظوظين إن تآكلت واضمحلَّت بمرور الوقت ..

لكن لا تحاولوا أبدا "القيام بعمليَّة تجميل" لإزاحتها، قد تكونون ذوي بشرة حساسة فتصابون بمخلفات تودي بحيواتكم ..

والجرَّاح الوحيد القادر على مثل هاته العمليات هو "الوقت"، لا شيء غيره ..

الشاعر ..

يتألم كثيراً ..

ويحاكي همومه في دفتر صغير ..

يكلم خِلاَّنه بنبرة أقرب للاختناق، ويتسائل كثيراً ..

وفي الصباح ..

يبتسم، يضع العطور، يختار أعبق العطور، ويجامل الشَّمس ..

ويضع نظَّارة غير تلك التي أبصرها بها يوم أمس ..

يحادث هذه، ويضحك مع ذاك ..

وبالتأكيد يجعل لسان حاله يقول : (أنا أسعد رجل في العالم) ..

يعود في المساء، وتكتب : عزيزي المساء ..

مازلت وحدي أتحمل ..

وما زالت وحدك تشعر بي ..

أنا لا أثق في قانون الجاذبيَّة ..

فأسهل علينا أن نرتفع من أن نسقط ..

والأمر لا يتطلَّب أجنحة، بل تحرَّر

الألم أمر محتوم .. لكن المعاناة شيء اختياري ..

كوني حبيبتي، طفلتي وعاشقتي ..

بأي التَّعاريف أو اللغات التي تريدين ..

عطِّري الورد بأنفاسك ..

أسدلي لي من شعرك ستائر ..

اكسري عتمة لياليَّ بإشراقة من عينيك ..

وتعالي، لطِّفي الجوَّ في غرفتي بآهة منك ..

وتنساب الأحزان ..

بعنف ..

تتغلغل في شراييني ..

حتَّى أثمل ..

وأخمل ..

وهي، تستكين حتى تذوب في روحي ..

أحملها معي ..

أينما ذهبت ..

أعيش وهي في دواخلي ..

أضحك وهي على شفاهي ..

أبكي وهي تستوطن أعيني ..

والحزن سادتي، يعطي للحياة معنى آخر ..

بُعدًا آخر ..

طعما آخر ..

أوَتدرون ..

سعادتكم في حزني ..

لا تعتقدوا في وجود سعادة بلا حزن يحملها ..

دقِّقوا مليًّا، أوَليست جميلة أحزاني ؟؟

دقِّقوا مليًّا، أوَليست جميلة كتاباتي ؟؟

دقِّقوا مليًّا، ما أبشع الفرح حين تكتبه أناملي ..

لا تستغربوا ..

هكذا أنا، أحب الأضداد في لغة الضاد ..

لست سوداويا، لكنَّني أمقت البياض حين أكتب ..

لا أتحدث عن حياتي في كتاباتي ..

لا أنثرها لكم ..

فهي ملكيَّتي ..

ولكنِّي، إن شئتم، أخُصُّكم بالقليل عنها ..

بِضعٌ وعشرون سنة ..

بِضعٌ وعشرون خيبة ..

بِضعٌ وعشرون وجع ..

بِضعٌ وعشرون علَّة ..

وثلاث أشهر ونصف من السَّكينة .. من النُّور .. من الخلاص ..

كرَّست حياتي كي أعلِّم النَّاس أن لا أحد مُميَّز، وماذا جنيت؟؟ هاهم يظنُّون أنَّني مميَّز لأنِّي أخبرهم بهذا ..

لا يمكننا تعريف الحب، فمجرد وضع مفهوم له يجعل منه محدودا.. والحب لا حد له.. لكن إن أردنا تبسيط الأمر، يمكننا القول أن الحب هو أن ترى جمال الورود بأعين مغلقة، وأن لا تدمي أشواكها أناملك مهما سالت منها الدماء..

تجذبني إليك عوالم لا أراها، لكنني أعيشها..

وإلى عينيك كلمات لا أسمعها، لكنها تسحرني، تشجيني..

حاشا للجنس أن يكون هو دافع الإغتصاب .. فالإغتصاب هو نتاج عن العنف والكراهية والتغطرس ..
وعليه، فمن الغباء فعلا القول أنَّ لباس المرأة له علاقة بالموضوع ..

أنا و القليل مني ..

أُلَمْلِمُ الكثير من الشوق وأناجي المساء ..

أبكيه وأحكيه ..

عن سقوطي خوفًا من ثرثرة الأنفاس ..

أعاتبني، كيف لي بالسقوط وأنا لم أغِبْ عن ناظري برهة ؟؟ وأبتسم ..

سحقا لعالم حَمَّلَني بالبعض مني ..

سحقا لعالم حَمَّلَني أحلامًا ثمَّ جعلني أبصر، فأحمل أمتعتي وأرحل ..

آهٍ يا مساء !!

أينَنْي وأين مقعدي من ذاك القطار ؟؟

أينَنْي وأينَكَ من سور تلك الزجاجة ؟؟

زجاجة نَفَخْتَ فيها أنت، ونسَقتُها أنا بألوان الطيف ..

أينَنْي وأين ساعتي من ذاك الإنذار الأخير لي ؟؟

آهٍ يا مساء !!

ليتك تعلم مامدى قسوة الأمس وجفاء اليوم ورطوبتك ..

دون عثراتِك فيَّ ..

من أنفاس لا تستغيغ جرعة من قهوةٍ ألِفْتُهَا ..

آهٍ يا مساء !! هل لي فيك بالمزيد من المدى ؟؟

بلغ السيل الزبى .. فما بال هذا الحال لا ينتهي .. ها أنا والوجع سوى (سواء) .. لا أعلم إن كان منِّي، أو إليه أنتمي ..

قال: أدمنتك وشعرك، وإطلالتك كل صباح ..

قلت: وعيناىَ ؟ قال: قنديلا خمر، دونهنَّ الليل مباح ..

قلت: ..

قال: عرفتك طفلتي، "آه- تي" البريئة من الوجع، وفب غيرك، القصيد عوال وصياح ..

قلت: ..

قال: اللّهمّ اجعل آخر دعوايَ أهواها، وسُورٌ من تغاريد المساء ..

لن أموت قبل أن أشرف أما ركلت بطنها.. انتهى..

- أبي، لسنا لاجئون..
- بلى، طالما سندفن في أراضي يباع نفطها للأغراب..
- لكننا لسنا أغراب على الأقل..
- بلى، طالما أن المسامير التي ستدق في نعوشنا صناعة أجنبية..
- أي شرف في حياتنا اذن؟؟
- أن تموت عطشان للحرية..

طالما اعتقدت وبشدَّة أنَّ المقاهي جُعِلَت لأولئك الذين لا يقرؤون الكتب .. لم أكن أعتقد أنَّها جعلت أصلا من أجل القرَّاء (أي لتبعدهم عن المطالعة) .. أسفاه ..

آسف من نفسي، لم أكن صادقا في كل كلمة حب سبق وقلتها، حتى تلك التي كنت أرتلها على مسامع هيرا صباحا عشية كانت آثمة باطلة .. الآن وقد هجرني اعترافي من الخطية، هل لي أن أقول، أحبك ..

أضربتم عن الطّعام، من أجل الكرامة كما تدَّعون .. أضربتم عن النَّوم، من أجل الحريَّة كما تدَّعون .. أضربتم عن الكلام، من أجل الشُّغل كما تدَّعون .. والآن، بعد أن صار جوعكم ووهنكم عملة يُضارَبُ بها في سوق السياسيِّين .. هلاَّ أضربتم عن الغباء قليلا، من أجل الوطن

يسكت الرجل لسببين .. عدم وجود من يفهمه، فيصبح كلامه بلا جدوى لذلك يغازل الصمت .. وجود من يفهمه دون أن يتكلم .. ولأنني أحظى بمن يفهمني ترونني صرت كثير الصمت .. ولأنني أفهمها، فإنَّني أحاول قدر المستطاع أن لا أسكت ..

قد يصدف يوما أن تتوغل في أدغال السكينة الموبوءة بالصّخب باحثا عن موضوع للكتابة، تبحر وتبحر وتبحر .. تأتيك هواتف مألوفة تنازع صرخة الموت لتقول أنا هاهنا، لم أمت إلّا في ذاكرتهم، فتمضي، وتبحر .. يلبسك شيطان في حلّة غانية، دعك من الكتابة، أنا هنا، اشربني حتّى تنتشي، تصرخ فيه، انسلخ عنّي، ففي ابتسامتها نشوة، تطرده كالسياسي الخائن المفضوح من تحت أظافرك لتمضي قُدُمًا، وتبحر .. لا تعبث باغراءاتهنّ ولا بزيف صدق نصائحهم، وتبحر في بحر وجدت نفسك فيه فطْرة، لا تعلم له نهاية، أمّا بدايته فقد ورثتها في كتب تاريخ مشبوهة، قالو نفّذ ولاتدقق .. تحاول الموت من حياتهم، تنسلخ عن دروبهم، عن إعجازهم الموهوم، لا تجاريهم ولا تجاورهم، فهم كالوباء السريع الإنتشار، لا يسكن غير الأحياء المظلمة التي أعماها الفقر عن الفنّ .. تلسعك ترانيم أغنية يتمتم بها جليسك، تتبين ملامحها فإذا هي أغنية يبثّها المقهى في الجوّ، عطِرةً كريح سنِين خلت ولم تخلو من خليل لم يخن سيجارة اقتسمناها مشاطرة، ولا كأس انتظرت أيام كي نجتمع فتُشرب .. "تعالى نخلّي الحلم حقيقة" .. تنتهي الأغنية تاركة إياك تسامر المارّة في سيارات التاكسي، لا تعلم إن كانوا هم المارّين فعلا أو ان كانوا مجرّد محطّة تمرّ بها كلّما أزمعت الألم .. وهؤلاء، روّاد المقهى؟؟ تجيبه، هم شأننا، ينتظرون غدًا، الفرق بيننا أنّ غدهم بعد سويعات، وأنّ غدنا نبنيه بأيدينا من أجل وليد آت .. والأمطار، صاح آخر بنفس المقهى بالميناء، أسيجلب لنا المطر معه كما وعد؟ فالمحاصيل تستغيث!! يجيبه صاحب الكرش الكريهة بجانبه، قد وعدنا، إن كنّا قطيع أبكم كما يشتهي، أن يجعل قلب ربّه يرقّ لتذللنا استسقاءا .. لا! يصرخ آخر متأبطا كتابه، بل وعدنا باقتسام المحاصيل مناصفةً .. لكنّك لم تعمل وتتعب مثلنا !! بأي قانون تريد موازاتي ؟؟ هنا ذُكرت القوانين، ملوّحا بالكتاب، الكاتب قد فكّر عن المظلومين .. كتابك أصفر، وليس أخضر ككتابنا، يصرخ أحدهم في بنطال لم يمسّ حذاء في حياته .. ويصرخ صاحب البدلة، الحلّ في تطهير الجبل من الجرذان، هي من تأكل المحاصيل .. ينفعل رفيقي، حمقى!! أنتم من أهمل المحاصيل، أنتم من علّم الجرذان الطّريق لحقولهم وأسكنتموها عقر دياركم، لا تنتظروا ربّا يسقيها، ولا قادمًا يحميها، تنوّروا، اقرؤا يا شعب اقرأ، فمهما كان الآت سيخدمكم إن كنتم فاقهين، أنتم الأسياد ولاهو، أرضكم بكم تصير جنان، وما القادم سوى سمسار .. يتّحد الجميع فجأة بعد أن تفرّقوا، مخبول .. أخذت صديقي من يده بعيدا عن الميناء، نفكّر كيف نبني الغد، وتركناهم ينتظرون القتدم غدًا .. استلقيا في فضاء عام، ساد الصمت الجو، تاركا مجالا لهمسات السجائر، وراحا يغوصان في ذكريات موجعة، لم تكن السيجارة تظنّ أن الالتزام مؤلم إلى هذا الحد، كما لم تخل

يوما أنّها ستُحاكم بتهمة الوفاء .. ماذا دهاهم؟ أتلك الهوية التي يرتضون؟ أليس من الغباء اعتناق هوية مغتصب ؟ دعك منهم، تداعب السيجارة الأخرى شعرها مهدّئة إياها ، هم لا يعرفون أن الهوية اختارت أول سكينة على الأرض بداية، هم لا يعرفون أن الهوية كالجينات، تتطوّر وتتوارث، لا يعرفون أن للهوية مفهوم نسبي، هم لا يعرفون أن تتالي الحضارات على أرضنا هوية، هم لا يعرفون أن من الحماقة الانتماء لتاريخ وتغاضي ما سبق، هم لا يعرفون أن الهوية لازالت تتغير بتتالي النكبات، لا تيأس عزيزي حارقي، مازال بوسعك تغيير حظك، فالغد لم يكتب بعد في صفحات التاريخ ..

- مالذي أحببتَهُ فيَّ حبيبي ؟؟
- أحببت فيك مالا تدركينه ..
- ؟؟
- أحببت فيك نفسي، وأحببتك في الذي نفسي بيده ..

أمًّا عنها، فلم تكن تعلم أني أشعر حينها بكل كلمة أرملة عبرت نظارتها القديمة التي كنت أتحاشى بها التوغّل فيها فأحرق حبًّا كجناحين من شمع قُدًّا لباحث عن شمس في عين الحقيقة .. كما لم تكن تعلم أنني أدرك سبب كلّ بسمة بثّتها نحوي ببريق أدمنته .. بسمة تخبرني بها عن مدى سعادتها كون ألغي كل الحضور كي أشاهدها، هي فقط .. بسمة تخبرني بها عن مدى سعادتي بها .. بسمة سكينة تقول: هو ذا، نضال، لي، بكل تاريخه لي، بكل ماضيه لي .. بسمة حيرة تقول: ماذا يجول بخاطره الآن ؟؟ آه !! ليته يكتب .. بسمة انتصار وأنا أرمقها في عطف وآخذ قلمي ودفتري بيدي .. أجل، نحن نعرف مايريد كل منا دون أن ننطق ..

وفي ركن غير ذي ركن، لم أكن أعلم، وأنا أراقبها تغازلني في سيجارتها، أنَّ كلَّ قصائدي كانت خرساء دونها .. راحت تتمايل، مغمضة عينيها اللاتي بهنَّ صُرِعت، مراقصة لحنًا لا أدري كيف تسلَّل إلى مسامعها عبر الهدوء .. دنت نحوي تدندن وهي تحبو جاعلة وجنتها تعانق ذقني، وكأنَّها ترجوني أن أسمع صمتها الصارخ يقول: اكشف عن جراحي، فهي مكابرة مثلي، لا تأبى التَّعرِّي ..

قالت: بئسا، من أنت !! قلت: دونك ؟؟ ليل بلا قمر .. قالت: والحب ؟؟ قلت: آثمُ دوننَا وإن اعتمر ..

لا شيء أمتع من العمل، وبريئة تشاغبك بين الفينة والأخرى .. وأحيانا يطفؤ النور، تارك لكما المجال لبعض القداسة المحرَّمة ..

أن تتزوَّج المرأة ذلك لايعني بالأساس أن تصير كقطعة صلصال يشكلها زوجها كما يشاء، كما لايعني أيضا أنَّها "تنسلخ" من سجن أبويها طالبة حريَّة مطلقة، ولا يعني أيضا بالضرورة عملية نقل سجين من زنزانة جماعية إلى زنزانة ثنائية .. الزواج عقد حريَّة، ولكنه لا يعني التنصُّل من المسؤولية .. ومسؤولية الرجل لا تقتصر على العمل وتكديس "المادة" عند ساقي زوجته، بل في تخلله وتسلله لأدقّ ثنايا الوجع فيها واكتشاف متى تحتاجه زوجًا، متى تحتاجه إبنًا، أبًا، أخًا، عشيقًا أو رفيق .. والأمر سيان للرجل والمرأة ..

أنا هاهنا .. هاهنا أنا .. أرى .. أفلاَ تفقؤون أعينكم التي ورثتموها فتبصروا مثلي ؟؟ أفلا تحرقوا كتب الأساطير والأولين ؟؟ أفلا تقرؤون ما كُتب خلال بياض الدفاتر ؟؟ تعالوا نزرع قمحًا على وجنتيْ حطّاب .. تعالوا نحتسي خمرا من مقلتي كذّاب ..

الزواج في نظري هو بمثابة ابرام لعقدين متلازمين، عقد اجتماعي يصادق عليه القانون أو الدين أحيانا، وعقد روحي أو عاطفي، لا تهم الكناية بقدر أهمية وجوده تحت أي مسمًّى كان، شخصيا، أعتبر العقد الأول " الاجتماعي" باطلا في حالة غياب العقد الثاني أو انتهائه .. #نضال_غريبي صدقا، لا يهمني إن لم أكن الرجل الأول في حياة امرأة، بل ما يهمني أكثر هو أن أكون الأخير ..

أخذت بيدي وقالت، سر معي ..

هكذا الصبح يكون ..

سر معي ولا تخف برْدًا ولا بَرَدَا ..

دع حبَّنا يعانق ما تيسَّر من خد النَّهار ..

احضن ما شئت من أنفاسي الغجريَّة ..

انثر عبر الشوق عبقًا ..

اسرق لنا قبلة متمردَيْن ..

اجعل شفاه وجدي تنتشي برشفة اختمار ..

أنا يا شاعري، لا أستأذن الشمس باشراقتي ..

وفي وجنتي يتوه الصبح ..

أمَّا أنت سيدي، ففي كلامك تعويذة ..

تُسْكِرُ السُّمَّار ..

تسقط القداسة عن الكتب حين نفهمها ..

قالت أنسيتني ؟؟ قلت لا، لكنني غبت أبحث ذاكرة أوسع تحتويك ..

حين سألتِني يوما .. أي النَّاس أنتِ مني .. عجبت لنفسي سيدتي .. فأنا لا أعرف الناس .. و لا أعلم مكانًا لها منك .. هلا تغفرين لك خطيئتك الكبرى ؟؟

و صار كلّ لحن لا يُكتب فيكِ نشاز ..

حين اكتشفت أن المكان ليس مكاني ..

و أن الاحساس ليس أحزاني ..

و أن الأشياء حولي ليست أمثالي ..

و حين لم تعد تتَّسع لي .. مدن أحلامي ..

❖

لم أتردد .. و رحلت في صمت ..

❖

لم أضع وقتي بحثا في أحشاء اللغة لانتقاء كلمات الحب ..

أو الاعتذار ..

❖

كنت أعلم حينها ..

أن كلماتي ..

المنتقاة لحظة الفراق ..

ليست الا مبررات فاشله لهروبي ..

أو لفشلي ..

❖

فلم أتباطىء .. و رحلت بلا صوت ..

❖

لم أنبس ببنت شفه ..

كي لا تغلق في وجهي أبواب الرحيل ..

❖

بل بكل بساطه رحلت ..

❖

لم أتشبه بالنعامة ..

بل جررت كبريائي ..

ورائي ..

و رحلت ..

لم أشىء التطلع في وجه من راهن على بقائي ..

فأحلامه خذلت ..

أجل برحيلي فعلت ..

و تركت البياض خلفي مساحات ..

ليمارس من خذلت طقوس حنينه إليّ ..

❖

أجل رحلت .. وفي صمت فعلت ..

تاركا ورائي من خذلت ..

❖

اخترت هديتي لنفسي رحيلي ..

❖

فدوني يا صحف ..

و اكتب يا تاريخ ..

هروبي ..

انسحابي ..

سأكتب آخر شطر منك ..

وأنسى ..

لكني لم أتب ..

وأعدت الكرة ..

وكتبتُك قصيدةً ..

ألفَ مرّةٍ ومرّة ..

وعند كلِّ آخر شطر ..

أذوب ..

ومن الحنينِ أتشظّى ..

فحبري ..

لم يعد بينَ شفتيكَ يفنى ..

لجأتُ للبحثِ عن قصيدةٍ أُخرى ..

تَعتقُني ذنباً ..

وَ فيهاَ ذكرياتي عنّي تتخلّى ..

ومن فرطِ النسياَنِ ..

تقتُلني ..

وَماَ أشهى أنْ فيِ سَبيلك أُقتَل ..

جنَّ الليل، هاتِ يدكِ أختبئ فيها ..

أتسرَّبُ فيك، وإليك أتسلَّلُ فأقرأك، برويَّة ..

أطرز بين قمَّتي نهديك جسرًا لأحلام العاشقين ..

وعلى السرَّة أشيِّد منارةً من ارتعاشة الشوق ..

ثمَّ أرتشف عند كتفيك فنجان النشوة، رشفة رشفة ..

وأراقب ذاك العالق على حافَّة الوادي، يتهجَّى طفولتي ..

و يتَّقدُ بردًا كلَّما نزع الوقت قميص الرَّتابة ونازع الضجر ..

جنَّ الليل، هاتِ يدكِ أختبئ فيها ..

في بلادي لا أحد يخسر من تجربة حب .. فالوصال يخدم صالونات الحلاقة والعطور .. والفراق يخدم محلات بيع السجائر ..

هيرا ..

تزيُّن وجنة الصبح ببسمة ..

تطبع قبلة على جبين المساء ..

ترسم أحلاما على فاه غيمة ..

تتساقط في أحضاني غيثًا ..

تعانق جيد قصيدي كنسمة ..

وأنا في عيناها أتوه ..

بين مد وجزر ..

أتشرَّد ..

وحين تغادرني، تعلق كالشقة في صدري ..

بلا رحمة ..

ثمَّ تعود وتتربَّع فوق أضلعي ..

وتمرح عابثة بين صيفي وشتائي ..

تتسكَّع بين ثنايا روحي ..

كالزَّمن الموجوع ..

نبُوَة عشقي، معتَّقة أقداحها ..

وهي كالطفلة، برائحة البراءة ..

أقرؤها بشغف روايات المساء ..

تهدهد جفن أوجاعي ..

يسكرني نبيذها ..

ينهيني ..

يجرِّدني من ثوب الحكمة ..

رثابة الوجع



- سادتي، أحبّتي، عائلتي المضيّقة والموسّعة، أوصيكم بأنفسكم خيرًا، وبأولادكم حبًا .. أحبّوهم لأنفسهم، لا تحبّوهم لتواصل أنفسكم فيهم، اختاروا لهم من الأسماء أعظمها وأرقاها، وكونوا شديدي الحرص في ذلك ..فالمرء سادتي رهين لاسمه، شأني، أمضيت عقودي الثلاثة بين نضال وضلالة وغربة ..علّموا أطفالكم أنّ الحبّ ليس بحرام، وأنّ الفنّ ليس بميوعة، لا تستثمروا من أجلهم، بل استثمروا فيهم، علموهم حب الموسيقى والكتب..السّاعة الآن الرابعة بعد الظهر، من السابع والعشرين من مارس ثمانية عشر وألفين، أفارقكم عن سن تناهز أسبوعين وأربع أشهر واثنين وثلاثين سنة ..أحبكم جميعًا دون استثناء، وأخص بالذكر هيرا، تلك العشرينية إيناس، تلك البريئة التي شيطنتها الحياة وحبي".
- نضال غريبي